

البداية والنهاية

ابن الخليفة المهدي باء العباسي كان من سادات العباسيين وأئمة المسلمين وخطباء المؤمنين استمرت أحواله على السداد والصلاح لم ينقطع قط عن الخطابة ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثامن والعشرين من هذه السنة قام في اثناء الليل لبعض حاجاته فسقط على أم رأسه فسقط من فمه دم كثير وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل فمات وكانت له جنازة حافلة C تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

وهي سنة الخوارزمية وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معين الدين ابن الشيخ فاحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الجيش صاحب دمشق وحرق قصر حجاج وحكر السماق وجامع جراح خارج باب الصغير ومساجد كثيرة ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضا وتراوى الفريقان وارسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكار وإبريق وارسل يقول اشتغالك بهذا اولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك فأرسل إليه المعين بزمروجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر وأرسل يقول أما السجادة فإنها تصلح لي وأما أنت فهذا اولى بك ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل وامتد الحريق في زقاق الرمان الى العقبية فأحرقت بأسرها وقطعت الانهار وغلت الاسعار واخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا لم يتم عليها قط وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الاولى فأرسل أمين الدولة يطلب من ابن الشيخ شيئا من ملابسه فأرسل إليه بفرجية وعمامة وقميص ومنديل فلبس ذلك الامين وخرج إلى معين الدين فاجتمع به بعدالعشاء طويلا ثم عاد ثم خرج مرة أخرى فاتفق الحال على ان يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك ودخل معين الدين ابن الشيخ فنزل في دار أسامة فولى وعزل وقطع ووصل وفوض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سني الدولة وعزل القاضي محي الدين بن الزكي واستناب ابن سني الدولة التفليسي الذي تاب لابن الزكي والفرز السنجاري وأرسل معين الدين ابن الشيخ أمين الدولة غزال ابن المسلماني وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الديار المصرية .

وأما الخوارزمية فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا فنهبوها وساقوا نحو بلاد الشرق وكاتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على

الصالح أيوب ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق
وجاء إليهم الصالح